

قبل جائحة كورونا سلسلة اوبئة فتكت بالبشرية وساهمت في انقلابات ديموغرافية واجتماعية واقتصادية



رولى راشد

الجائحة... هي القول: جائحة هو تفشي عالمي. ثم قد نسأل نفسك: «ما هو تفشي عالمي؟» التفشي العالمي يعني أننا نرى انتشار العامل المرضي... ثم نرى أنشطة المرض بالإضافة إلى انتشار الفيروس. البعض يلحظ ١٩ جائحة ووباء عرفها العالم على مر الأزمنة. وربما هي أكثر برأي الآخرين.

بينها الطاعون الأنطوني. والوباء الثالث. وجدري العالم الجديد. وفيروس سارس. وجائحة إنفلونزا الخنازير. وإنفلونزا ١٩١٨. وطاعون الموت الأسود. ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) وفيروس إيبولا. والإنفلونزا الروسية. وطاعون جستنيان. والإنفلونزا الآسيوية. والطاعون الإيطالي. والحمى الصفراء. وأعراض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز). وإنفلونزا هونغ كونغ. وطاعون لندن العظيم. والكوليرا. وأخيراً كوفيد-١٩.

ونذكر كيفية انتشار البعض الأبرز منها وفق التالي:

١- الطاعون الأنطوني: سنة ١٨٠-١٦٥ ق.م

عزا العديد من المؤرخين السبب في سقوط الإمبراطورية الرومانية إلى الطاعون الأنطوني الذي تفشى في روما إبان فترة حكم ماركوس أوريليوس خامس أباطرة السلالة النيرفية الأنطونية. ولا أحد يعرف على وجه التحديد سبب هذا الطاعون. إلا أن الأعراض التي رصدها طبيب يدعى غالين. المتمثلة في قروح جلدية مؤلمة. وارتفاع في درجات حرارة الجسم. وإسهال والتهاب في الحلق توحى بشدة أنه كان نتيجة لداء الحصبة والجُدري.

٢- طاعون جستنيان: سنة ٥٤٢-٥٤١ ق.م

ويسود اعتقاد بأن هذا الوباء الأول من نوعه في سلسلة الطواعين الدُمَلية أو النزفية في العالم. واستمد اسمه من اسم الإمبراطور البيزنطي الذي انتشر في عهده هذا المرض من براغيث مصابة ونقلته قوارض حول العالم.

٣- الموت الأسود: سنة ١٣٣١-١٣٥٢

وقد وصف البعض هذه الجائحة بأعظم كارثة على الإطلاق. وقد بلغ عدد من قضى نحبه من جرائها زهاء ٢٠٠ مليون شخص. ويعتبر أخطر كارثة واجهتها البشرية في القرن الرابع عشر. وأكثر الأوبئة فتكاً وقدرة على الانتقال والانتشار. إذ انتقل بسرعة من الصين إلى الهند وأسيا الوسطى حتى اجتاحت أوروبا وشمال إفريقيا.

ظهر طاعون «الموت الأسود» عام ١٣٣١ في الصين. وانتقل منها إلى آسيا الوسطى وشرق أوروبا والقسطنطينية ومنها إلى أوروبا والشرق الأوسط.

وبحلول عام ١٣٤٩ كان «الموت الأسود» قد تفشى في كل دول أوروبا ومدنها وحصد مئات الآلاف بل الملايين من السكان. وبحلول عام ١٣٥١ كان الوباء قد قضى على نحو نصف سكان أوروبا. ويذكر بعض المصادر أن عدد ضحايا الموت الأسود يقدر بـ٧٥ مليوناً إلى ٢٠٠ مليون. وتسبب في تغيرات كبيرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي وفي تغيير التركيبة السكانية.

٤- جدري العالم الجديد: سنة ١٥٢٠

عندما وطئت أقدام المستكشفين أراضي العالم الجديد (وهو مصطلح أطلق على القارتين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية) كانوا يحملون معهم أشياء أخرى غير الفجل (اللفت) والعنب. فقد نقلوا معهم أيضاً الجدري والحصبة وفيروسات أخرى لم يكن لسكان تلك المناطق مناعة ضدها.

وثمة اعتقاد أنه ظهر أول مرة في مصر قبل نحو ٣ آلاف عام. وتفشى الجدري في أماكن متفرقة في مختلف أرجاء العالم وفي حقب زمنية مختلفة. وحصد نحو ٣٠٠ مليون إلى ٥٠٠ مليون شخص.

أدخله الأوروبيون إلى الأمريكتين وتسبب في مقتل غالبية السكان الأصليين بالمكسيك.

تذكر بعض المصادر التاريخية أن أول طريقة لعلاج الجدري اكتشفت في الصين قبل نحو ألف عام. وتذكر مصادر أخرى أن أتراك الأويغور في تركستان الشرقية هم أول من اكتشفها قبل ذلك بكثير وتوارث الأتراك هذه الطريقة إلى أن وصلت إلى الأناضول واستخدمها الأتراك السلاجقة والعثمانيون. وفي القرن الثامن عشر. وبالتحديد عام ١٧٢١. كتبت الليدي ماري مونتاغو زوجة السفير البريطاني لدى الدولة العثمانية رسالة إلى بلادها تتحدث فيها عن طريقة يستخدمها العثمانيون لتحسين أنفسهم من الجدري. عبارة عن أخذ بعض المواد المعدنية من جلد الشخص المصاب بالجدري ووضعها في خدوش سطحية بذرار الشخص المراد تحصينه. وقد اعتمدت هذه الطريقة في أوروبا بعد فترة من الرفض. ثم انتشرت هذه الطريقة في العالم كله. وفي عام ١٧٩٦. استخدم الطبيب الفرنسي «إدوارد جينر» جدري البقر لتحسين الأشخاص ضد الجدري. ما ساعد في تشكيل مناعة داخل الجسم. ومهد الطريق أمام الأبحاث والدراسات لاكتشاف لقاح ضد الجدري ما أدى إلى انخفاض كبير بالتدرج في حالات الإصابة. وسجلت آخر حالة للجدري عام ١٩٧٧ في الصومال. وفي عام ١٩٨٠. أعلنت منظمة الصحة العالمية انتهاء مرض الجدري من العالم وانتصار البشر عليه.

٥ - طاعون لندن العظيم: سنة ١٦٦٥

مرة أخرى. يلقي اللوم في هذه الجائحة على الفئران والبراغيث المؤذية

التي وجدت ضالتها في شوارع لندن وتراكمت فيها النفايات والفضلات لا سيما في الأحياء الفقيرة منها. بحسب الأرشيف الوطني الإنكليزي. ظهر الطاعون في هولندا عام ١٦٦٤ وانتقل مع سفن التجارة إلى لندن عام ١٦٦٥ ليفتك بسكانها ويقتل نحو ربع سكان المدينة.

انتشر الطاعون بسرعة أكبر في الأحياء الفقيرة لانعدام الرعاية الصحية بينما غادر الملك تشارلز والنبل وكبار التجار المدينة للهروب من الطاعون ومُنِع الفقراء من مغادرة أسوار المدينة. كما مُنِع المواطنون من الخروج من المنزل إذا ظهر فيه أي حالة إصابة كما كانت توضع علامة على المنزل لمنع الاقتراب منه. وبذلك كان يعزل المرضى ويمنع اقتراب الأصحاء منهم. إلا أن ذلك كان يؤدي أيضاً إلى إصابة كل أفراد العائلة بالمرض ومن ثم موتهم. وخصصت عربات تجوب شوارع المدينة لجمع الجثث ودفنها بمقابر جماعية خارج أسوار المدينة.

٦- وباء الكوليرا: سنة ١٨١٧-١٩٢٣

مجتمعات قليلة تلك التي عُث من هذه الجرثومة (البكتيريا) الشديدة العدوى التي تنتقل عبر المياه الملوثة بالبراز وتسبب في إسهال حاد وتقيؤ. وقد تفشى هذا الوباء في لندن عام ١٨٥٤.

أنتج لقاح الكوليرا عام ١٨٨٥ إلا أن استخدام اللقاح لم يقض على المرض واستمر الكوليرا في الظهور وحصد الأرواح في بلدان متفرقة. وطبقاً لإحصائيات منظمة الصحة العالمية. يُصِيب وباء الكوليرا سنوياً ١.٣ مليون إلى ٤ ملايين شخص ويتسبب بمقتل ٢١ ألفاً إلى ١٤٣ ألفاً.

وينتشر الكوليرا أكثر في البلدان والأماكن التي يعاني سكانها من سوء التغذية أو الأماكن الفقيرة التي تعاني من تلوث الأغذية والمياه. ويمكن مواجهته بتحسين الظروف المعيشية لهم ورفع جودة الخدمات الصحية.

٧- الحمى الصفراء: أواخر القرن ١٩

مرض فيروسي مستوطن في أميركا الجنوبية وأفريقيا جنوب الصحراء. وتنتقل العدوى عبر أنثى البعوض. أطلق عليه هذا الاسم لأنه يحيل جلود المصابين به في الغالب إلى اللون الأصفر.

سنة ١٧٩٣. تفشى الوباء في مدينة فيلادلفيا التي كانت آنذاك عاصمة الولايات المتحدة. وقد أودى بحياة ما يقارب ١٠٪ من السكان. ولم يعرف سبب الإصابة حتى عام ١٩٠٠ عندما حدد علماء الجيش الأميركي البعوض كناقل للمرض.

٨- إنفلونزا ١٩١٨: سنة ١٩١٨-١٩٢٠

ثمة تشابه بين كوفيد-١٩ وإنفلونزا ١٩١٨. التي يطلق عليها أحياناً اسم الإنفلونزا الإسبانية نظراً لأن منبعها كان في دولة إسبانيا. على أن معد المادة التفاعلية يرجع السبب في هذه التسمية إلى أن إسبانيا كانت الدولة الوحيدة التي اتسمت بالصدق بشأن حصيلة ضحايا تلك الجائحة التي انتشرت إبان الحرب العالمية الأولى. وتفشت تلك الإنفلونزا

بمناسبة الكورونا أو بدونها

الى الفرسان ذوي القلوب الناصعة والجباه المرفوعة والمرابيل البيضاء وما شابه... سباقون أنتم دائما إلى المريض أي مريض....كنتم الأوائل في البقاع وما زلتم.

تعرضتم للخطر لكي لا ينتشر وصدتم متحدين الوباء... تعالجون باللحم الحي أو بما تيسر من الألبسة الواقية والغالية الثمن حيث ان الجهات المعنية مباشرة بمكافحة هذا الوباء وزعت ما يلزم في كل الاتجاهات إلا صوبكم.



سرتم وإدارتكم جنباً الى جنب وإقتحمتم بمجداف العزيمة و الصبر كل سيرة إحباط وظلم ومرض. ولم نذهل في مستشفى دار الأمل الجامعي عندما رأينا إقدامكم بتسجيل أسمائكم لعلاج الكورونا حيث بادر المئات للتسجيل تاركين هموم الغالين من الأولاد و الأهل في بيوتهم قلقة.

مستشفى دار الأمل الجامعي تشكر الجميع في عز الصعاب وتبارك جهود جميع الممرضين والممرضات الذين يصنعون ملحمة متواصلة من التضحية والصبر لا بد لنا من وقفة معكم مقدرين جميع جهودكم المعطاء.



١٠- إنفلونزا الخنازير: ٢٠٠٩

قبل تفشي فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) كانت إنفلونزا الخنازير أحدث وباء يضرب العالم إذ أصاب ٢١٪ من سكانه. وإنفلونزا الخنازير مزيج من العديد من سلالات الإنفلونزا المختلفة التي لم يحدث أن شوهدت مجتمعة مع بعضها. ويقول مايكل روزنوالد إن معظم الذين أصيبوا بهذا الوباء كانوا من الأطفال والشباب.

هذا غيض من فيض لأمراض تفتك بأرواح البشر أحيانا، ويتعاش معها الآخرون أحيانا أخرى.

ورغم تسارع التقدم الطبي، وكثافة الأبحاث التي ترهق بعض ميزانيات الدول في سباق الاكتشافات المكثفة للعلاجات وتطوير التشخيص المبكر، ما زالت الأوبئة تهدد حياة البشرية. علما ان البعض منها من صناعة الانسان الذي فضلّ تسخير عقله في ابتكارات تدميرية بدلا من استخدامه لخير البشرية.

في هذا العدد (٥٢) من «الصحة والانسان»، مشغّل المختبرات العالمية، مرصد اهتمام الحكام والرؤساء ومتصدّر اخبار الاعلام، فيروس كورونا (كوفيد ١٩) هو الموضوع الأبرز، على أمل ان يصبح اللقاح الفعّال هو الحدث البارز الذي طال انتظاره.

نظرا للظروف القاهرة التي يمر بها لبنان، حيث تعطلت جميع المرافق الحياتية، سيكون هذا العدد عن الفصلين الصيف والخريف لعام ٢٠٢٠، على أمل معاودة تنظيم اصدار العدد المقبل في موعده انشالله.

في موجتين الأولى بدءاً من عام ١٩١٨ قبل أن تنتهي عام ١٩٢٠، وأصيب بالوباء زهاء ٥٠٠ مليون شخص، توفي منهم ٥٠ مليوناً حول العالم، حسب مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، وهي مؤسسة وطنية أميركية رائدة في مجال الصحة العامة.

٩ - الإنفلونزا الآسيوية: ١٩٥٧-١٩٥٨

أول من لفت الأنظار إلى هذه الإنفلونزا هو الدكتور موريس هيليمان، الذي اعتبر في ما بعد الأب الروحي للقاحات، وكان يعمل بمؤسسة والتر ريد العسكرية للبحوث عام ١٩٥٧ عندما نشرت نيويورك تايمز مقالا عن تفشي وباء إنفلونزا خطير في هونغ كونغ، وتطرق فيه إلى وجود أطفال في عيادة طبية بدت عيونهم خالية من أي تعبير أو حياة، كناية عن الموت.

ووفق مجلة سميثونيان، فإن شيئا ما في عيون أولئك الأطفال نبهته إلى حدوث أمر ما «وأخبره حدسه حينها أن تلك الوفيات هي جائحة إنفلونزا جديدة».

وقد طلب هيليمان بعدها إرسال عينات من الفيروس إلى شركات تصنيع الأدوية بالولايات المتحدة على جناح السرعة حتى يتسنى لها إنتاج لقاح للوباء، ومع أن ٧٠ ألف شخص قضوا في البلاد فإن البعض أشار إلى أن حصيلة الوفيات هناك كان من الممكن أن تصل إلى مليون شخص لولا اللقاح الذي نصح هيليمان بتصنيعه.